

أوراق الربيع فى المكتبات والمعلومات*

أو «المقالات الكاملة للأستاذ الدكتور شعبان خليفة»

عرض

عبد الرحمن أحمد عبد الهادى فراج

قسم المكتبات والوثائق - جامعة القاهرة

كلية الآداب ببني سويف

١ - نهيد :

ليست كل الأعمال التجميعية إفلاسٌ كما يظن البعض؛ وإنما قد يكون العمل التجميعى الطريقة المثلى لتقديم مجموعة من الأعمال العلمية ذات الموضوع الواحد بحيث تكشف عن أكبر قدر من أبعاده وقضاياه؛ كما قد يكون العمل التجميعى الوسيلة الوحيدة لإبراز عدد من الإسهامات التى تشكلُ أو تبلور مجالا من المجالات العلمية فى بداياته الأولى؛ وأخيراً قد يكون الوسيلة الوحيدة لجمع أعمال مؤلف معين معاً بدلاً من تشتتها فى دوريات أو أعمال مؤتمرات متعددة، أعدت فى سنوات متباعدة، وفى أماكن نشر متباعدة. ومثل هذا العمل التجميعى الأخير يقدم لنا الصورة أو الخريطة الفكرية الكاملة للمؤلف، وأنماط اهتماماته الموضوعية، وتطور خطه الفكرى عبر الزمن، وهو ما يتحقق فى كتابنا الذى نعرض له فى مقالنا هذا.

ولأن الهدف الرئيسى من «أوراق الربيع» هو جمع المؤلف لمقالاته العامة والمتخصصة بين دفتى كتاب واحد، فإننا يمكن أن نعد هذه المحاولة من قبيل «الأعمال الكاملة» للمؤلفين، ومن ثم يمكن

أن نطلق على هذه المحاولة - بشىء من التجاوز - «المقالات الكاملة للأستاذ الدكتور شعبان خليفة».

٢ - المؤلف:

إذا قُدر للتاريخ الفكرى لمجال المكتبات والمعلومات فى عالمنا العربى أن يكتب يوماً ما، فإنه لا شك أن الدكتور شعبان خليفة سوف يحتل مكانة مرموقة فى هذا التاريخ، وإذا ما لجأنا لإحدى أدوات هذا التاريخ - وهى الدراسات البليوجرافية - فسوف نكتشف أن شعبان خليفة يعد من أكثر المؤلفين العرب إنتاجاً فكرياً فى المجال وتنوعاً فى كتاباتهم. فليست حركة النشر موضوعه الأثير الوحيد، ولم تعد إحصاءات المطبوعات ومعدلاتها شاغله الشاغل، كما لا تقتصر اهتماماته على استعراض حركة الكتب والمكتبات فى البلاد العربية؛ وإنما يكتب شعبان خليفة فى عديد من الموضوعات مثل المكتبات الوطنية والوراقة والورائيات والكتابة العربية ومواد المعلومات غير التقليدية وتشريعات المعلومات... إلى آخره. حتى أن قارئه ليختار: فى أى اتجاه هذا الرجل يبحث، وبأى قطاع يهتم؟ وكتاب المؤلف الذى نعرض له اليوم، يعبر عن

* شعبان عبد العزيز خليفة. أوراق الربيع فى المكتبات والمعلومات. القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٩ - ١٩٩٣، ٥ مج.

زعمنا هذا خيراً تعبير.

وينتمي الدكتور شعبان خليفة إلى «جيل الأساتذة» أو «جيل الرجال المؤسسات»، فرجال هذا الجيل كل مؤسسة في ذاته. هذا فضلاً عن أنهم أنجزوا بأعمالهم، وما زالوا، ما كان ينبغي أن تقوم به المؤسسات.

٣ - الكتاب

١/٣ عام

«أوراق الربيع في المكتبات والمعلومات» عمل تجميعي، أقرب إلى أن يسمى «المقالات الكاملة» قياساً على «الأعمال الكاملة» Complete Works الشهيرة والغزيرة معاً في بعض مجالات المعرفة مثل الأدب.

وقد صدر من هذا العمل حتى الآن خمسة مجلدات، نشرت عبر خمس سنوات (١٩٨٩ - ١٩٩٣). وتشتمل المجلدات الخمسة على ١٦٣ مقالة، تتوزع من المجلد الأول إلى المجلد الخامس كالتالي : ٧٠ مقالة (نشرت بين ١٩٦٢ - ١٩٧٩)، و ٤٩ مقالة (بين ٧٩ - ١٩٩٠)، و ٢٤ مقالة (بين ٨٣ - ١٩٨٤)، و ١٣ مقالة (بين ٨٥ - ١٩٩٠)، وأخيراً ٧ مقالات (بين ٩٠ - ١٩٩١). وفيما يختص عدد صفحات المجلدات الخمسة الألف صفة (وبالتحديد ١١٠١ صفحة).

ويخبرنا المؤلف في المجلد الخامس (ص ٣) أن ثمة مجلد قادم يشتمل على الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية. كما أنه من الطبيعي أن يكون هناك مجلد آخر يشتمل على الأعمال التي توفر عليها المؤلف بعد عام ١٩٩١.

٢/٣ العنوان

إن أول ما يستلفت النظر في «المقالات الكاملة» للدكتور شعبان خليفة هو عنوانها . والحقيقة أننا لا نعلم سبب وضع المؤلف مقالاته هذه تحت عنوان «أوراق الربيع». ولا نجد إجابة شافية من المؤلف

اللهم إلا فقرة مقتضبة في ثانياً مقدمة المجلد الأول (ص ٣)، قال فيها : «ورغم أن الربيع دائماً هو أحلى وأجمل مراحل العمر في جميع الأحوال إلا أنه ليس كذلك في الإنتاج الفكري فقد يكون الخريف في هذه الحالة فقط أحلى وأجمل وأكثر عمقاً من الربيع».

فهل فصل الربيع يمثل لدى المؤلف ذروة النشاط الفكري، ومن ثم فإنه جل هذا النشاط يعد نشاطاً ربيعياً؟ أم لأنه قد بدأ كتاباته تلك في ربيع عمره فأثر أن يعود الفضل، كل الفضل، إلى مرحلة غرس الثمار؟ أم يكون الربيع محض عنوان يشير إلى الجمال ويوحى بالسعادة.

٣/٣ الموضوعات

يعبر هذا العمل عن أنماط الاهتمامات الموضوعية للدكتور شعبان خليفة كما تتمثل فيما أعد من مقالات دوريات وبحوث مؤتمرات حتى عام ١٩٩١.

ويمكننا تقسيم هذه الموضوعات إلى أربعة أقسام رئيسية، هي المكتبات النوعية (٤٨ مقالة، بنسبة حوالى ٢٩,٤٪)، ومصادر المعلومات (٣٥ مقالة، بنسبة حوالى ٢١,٤٪ أو خمس مجموع المقالات)، ثم المعالجة الفنية أو الخدمات غير المباشرة (١٧ مقالة وبحثاً، بنسبة حوالى ١٠,٤٪ أو عشر مجموع المقالات)، وأخيراً القسم الرابع والأخير ويتنظم موضوعات أخرى متعددة لا تنتسب إلى موضوع كبير ولا تنتمى إلى الأقسام السابقة (٦٤ مقالة، بنسبة حوالى ٣٩,٢٪).

وفيما يتصل بالمكتبات النوعية، فتأتى على رأسها المكتبات الوطنية برصيد ٣٣ مقالة، بنسبة حوالى ٦٨,٧٪ من مجموع مقالات هذا القسم، وحوالى ٢٠,٢٪ من مجموع مقالات الكتاب على الإطلاق. ومعظم هذه الأعمال مقالات قصيرة أو مقالات طائفة - بتعبير الدكتور شعبان نفسه -

نشرت في جريدة «البلاد» السعودية. وقد كان ذلك - في الحقيقة - السبب في أحتلال جريدة «البلاد» مقدمة الدوريات العربية المنتجة للمقالات في موضوع المكتبات الوطنية في الإنتاج الفكري العربى جميعه؛ كما أثبت ذلك بحث أخير (١). ويلي المكتبات الوطنية في هذا القسم، المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات برصيد ٦ مقالات، والمكتبات العامة بنصيب ٥ مقالات، ثم المكتبات المدرسية في مقالتين، وأخيراً المكتبات الجامعية والمكتبات الإسلامية برصيد مقالة واحدة لكل منهما.

وتحتل الكتب مقدمة موضوعات قسم مصادر المعلومات، برصيد ١٤ مقالة، ونسبة حوالى ٤٠٪ من مجموع مقالات هذا القسم. ومعظم مقالات هذا الموضوع دراسات إحصائية لمعدلات الكتب على مستواها الدولى والعربى والمصرى. ونحن نعلم أن الدكتور شعبان خليفة كان من أوائل المؤلفين العرب الذين تعاطوا هذا الموضوع. ويلي الكتب، من بين مصادر المعلومات، المواد السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمية (٥ مقالات)، ومثل هذا الرصيد الأخير أحرزته الدوريات، ثم المخطوطات برصيد مقالتين، والأطروحات بنصيب مقالة واحدة وهناك ثمان مقالات في هذا القسم من رصيد الأعمال المرجعية، منها مقالتان لكل من معاجم التراجم والموضوعات، ثم مقالة واحدة لكل من معاجم البلدان ومعاجم المصطلحات الأدلة والكتب السنوية.

والمعالجة الفنية هي ثالث أقسام هذا الكتاب التجميعى من حيث عدد المقالات، ويأتى على رأسها الوراقة والوثائق والورائيات بنصيب ٨ مقالات، ثم الفهرسة (٤ مقالات)، ورؤوس الموضوعات (٣ مقالات)، والتصنيف (مقالتان).

أما القسم الرابع متعدد الموضوعات، فيبرز فيه موضوع «حركة الكتب والمكتبات في البلدان

العربية» برصيد ٩ مقالات، منها خمس مقالات بالإنجليزية نشرت بالمجلد الرابع. ثم يأتى أقرب الموضوعات التصاقاً بالدكتور شعبان خليفة وهو «النشر والطباعة والتوزيع» بنصيب ٨ مقالات. ويلي ذلك موضوعاً تقنيات المعلومات والترجمة والترجمات برصيد ست مقالات وخمس مقالات من مجموع أعمال هذا القسم على التوالى. فيما هناك موضوعان يشتركان في رصيد ٤ مقالات هما تنمية المقتنيات وتشريعات المعلومات؛ وموضوعان آخران يشتركان في رصيد ٣ مقالات هما القراءة وجمعيات المكتبات والمعلومات؛ وموضوعان ثالثان يشتركان في رصيد مقالتين هما معارض الكتب ومباني المكتبات. ومقالة واحدة فحسب هي نصيب علم المكتبات المقارن وصناعة الورق وتاريخ المكتبات (والأخير عرض لكتاب). وثمة آراء عامة للدكتور شعبان خليفة في مجال المكتبات والمعلومات لا تنتمى لأى من الموضوعات السابقة وتقع في سبع مقالات. بينما هناك - أخيراً - ثلاث مقالات خارج إطار المكتبات والمعلومات على الإطلاق، وهما ثلاثة عروض لكتابين في الجغرافيا وكتاب في مجال الفولكلور.

وهكذا، فثمة ثراء واضح في فكر الدكتور شعبان خليفة في مجال المكتبات والمعلومات. فالرجل يكتب هنا وهناك، ويطرق ما تصل إليه يده من أبواب المعرفة في المجال. ويشعر المطلع على مقالاته الكاملة - في مجلداتها الخمسة هذه - بولع الرجل الشديد في الأخذ بأيدي المتخصصين إلى موضوعات ربما يقرأون عنها في العربية لأول مرة، جنباً إلى جنب الأخذ بأيدي عامة القراء - من خلال الصحف والدوريات العامة - والوقوف بهم عند كثير من قضايا المجال المرتبطة بحياتهم اليومية.

٣/٤ فئات البحوث والمقالات

وهكذا أيضاً، فإننا يمكننا تقسيم «المقالات

الكاملة» للدكتور شعبان خليفة، من حيث فئاتها أو نوعياتهم، إلى قطاعين كبيرين :

- **القطاع الأول :** مقالات متخصصة موجهة أساساً إلى الباحثين في المجال ويبلغ عدد هذه المقالات ٥٦ مقالة؛ منها - في الرتبة الأولى - ٤٠ مقالة تقع في فئة الدراسات والمقالات الاستعراضية، و٦ عروض لكتب متخصصة في المجال، و٦ مقالات مترجمة، ومراسلتين (إلى مجلد عالم الكتب السعودية)، ومعجم مصطلحات (نشر على عدد من مجلة عالم المكتبات، وينصب على مجال الجيوبوجرافيا والفهرسة الوصفية)، وبحث تجريبي يعد من البحوث التجريبية العربية النادرة في المجال (٢).

- **القطاع الثاني :** مقالات قصيرة تعد بمثابة نظرة فوقية أو نظرة طائر إلى الموضوع - إذا استخدمنا تعبير الدكتور شعبان نفسه. ويبلغ عدد صفحات المقال في هذه الفئة من صفحة واحدة إلى ثلاث صفحات. فيما يبلغ نصيب هذه الأعمال من مجموع مقالات الكتاب ١٠٤ مقالات.

وليس شك في أننا نحتاج في بعض الأحيان إلى صور سريعة تجريدية لموضوع ما أكثر من حاجتنا إلى صور تفصيلية. وقد وجد المؤلف أن ثمة حاجة لمعالجة بعض الموضوعات، مثل المكتبات الوطنية أو معارض الكتب أو أنواع الأعمال المرجعية ودورها في الفكر الإنساني، بصورة عامة تنزع إلى التعميم والتجريد أكثر من نزوعها إلى التفصيل والتحديد. ويمكن أن يفيد من هذه المقالات القارئ العام الذي حاول المؤلف تقريب مفاهيم المكتبات والمعلومات إليه بصورة لا تبعث المل، كما يمكن أن يفيد منها القارئ المتخصص الذي تعد مثل هذه المقالات نقطة البدء بالنسبة لبحثه. ويعضد ذلك أن

كماً كبيراً من هذه المقالات كان إما مقالاً في صحيفة عامة موجهة إلى القارئ العام، أو إفتاحية لدورية متخصصة.

إن هذه المقالات، على العموم، تعد إضافة قيمة إلى المعرفة في المجال. وهي تستحق النظر والبحث المستقل؛ لأننا لا نعلم أحداً في المجال ارتبط بها مثلما ارتبط بها الدكتور شعبان خليفة.

ومثلما كانت هذه الخاصية الأخيرة أكثر التصاقاً بالدكتور شعبان خليفة؛ فإننا في انتظار - خاصية أخرى أكثر تميزاً وهي الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية التي توفر عليها، والتي لا شك أن نشرها سوف يكون إثراء للإنتاج الفكري والمعرفة في المجال. كما أن المقالات الكاملة، والتي اختار الرجل تجميعها وترتيبها في مجلداتها الخمسة السابقة بصورة زمنية تتبع تطور فكره الزمني، لازالت في حاجة إلى كشف يجمع موضوعاتها الغزيرة المتفرقة بين هذه المجلدات.

المراجع

(١) محمد فتحى عبد الهادى - المكتبات الوطنية على ضوء الإنتاج الفكرى العربى. الإجهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات. مج ٣، ٥٤ (يناير ١٩٩٦). ص ص ١٨٩ - ٢١٢.

(٢) شعبان عبد العزيز خليفة. بين المطبوعات والمصغرات الفيلمية: تجربة قسم المكتبات بجامعة القاهرة لقياس السرعة والفهم، مارس - إبريل ١٩٨١. فى كتابه: أوراق الربيع فى المكتبات والمعلومات، مج ٢، ١٩٧٩ - ١٩٨٣. القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، (١٩٨). ص ص ١٢٩ - ١٥٠.